النصيحة والحرية الإنسانية

نجاة حسن أحمد يسن *

المستخلص

تتناول هذه الورقة الحديث عن النصيحة والحرية الإنسانية كما تتحدث عن عمل الإنسان الذي هو الترجمة الواقعية للإيمان، وأداء التكاليف، والذي إذا قصر فيه الإنسان لزمته النصيحة التي هي عماد الدين وقوامه، ولتفاوت موقف النفوس من النصيحة ودرجة قبولها جاء هذا البحث يناقش ضوابط الحرية الإنسانية في الاعتقاد والفكر والعمل، وارتباط مبدأ النصيحة على درجة الإيمان بالقضاء والقدر، وارتباطه بقدرة العبد وأفعاله الاختيارية وتكليف الله الإنسان ما يطيقه، والفرق بين الحرية في الإسلام والفكر الغربي والحريات الشخصية والحريات العامة، وعلاقة كل ذلك بالنصيحة، والوصول إلى أن النصيحة هي أعظم مسئوليات المسلم، ولا تكون إلا بحكمة في حق العباد والعمل بقدر الطاقة البشرية. فالمسلم لابد أن ينطلق في حياته ويمارس حرياته وفقاً لالتزامه العقدي في تجسيد المنهج الرباني وفقاً لمقتضيات الواقع والتزام سلوك يحقق إرادة الله في خلقه منضبطاً بضوابط الشرع وسلطة الأخلاق والمجتمع، وذلك لتحقيق عمارة الكون، من اهم النتائج التي توصلت لها الورقة لا بد أن يكون النصح عن طريق الكلمة الطيبة التي ينفذ اثرها للقلب فيكون أدعى للقبول والاستجابة لها.

ABSTRACT

This study approaches advice and human freedom. It addresses man's action, as it is the actual meaning of faith and duty fulfilling, whereas, man neglects these duties which he needs to be advised, as advice is the pillar and structure of religion ; Because of the varying attitudes towards advice, and the degree of its acceptance, this study argues the regulations of human freedom for belief, thought, and action, the relation between the doctrine of advice and the degree of faith in determinism and the capacity of the fellow faithful, his optional actions and Allah's duties on man according to man's capacity. The study, as well argues the difference between freedom in Islam and the Western thought, personal and public freedom and the relation between each of them and advice. The study concluded that, advice is the greatest responsibility on the Muslim, and it is given with wisdom, because a Muslim's life complies with his dogmatic commitment and embodies the Godly method according to the actual requirements if a behavior that realizes Allah's will and abiding to Sharia, moral authority, and society to colonize the universe. In conclusion the advice should be given in good words which penetrate the heart and claim acceptance and positive response.

الكلمات المفتاحية:

المشيئة الإلهية – الالتزام العقدي – السنن الكونية – حرية الاعتقاد

* جامعة الدمام - كلية العلوم والآداب بالخفجي- المملكة العربية السعودية.

هاتف: ٠٥٣٤٠٧٩٤٦٥- بريد الكتروني:umaltaman22@hotmail.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المقدمة:

الإنسان أفضل ما في الكون من عناصر وموجودات ؛ لذا استحق التكريم ، والتفضيل ؛ وذلك ليس لحسنه أو شكله أو حاله بل لإيمانه، وتقواه ، وخلقه ، وعمله، واستعداده لكسب المعارف، والمهارات والإبداع ، والقيام باستخدام العقل في عمارة الأرض .

والعمل هو الترجمة الواقعية للإيمان وحيثما ذكر الإيمان ذكر العمل ؛ فالمسلم مطالب بأداء شهادة كاملة لا يستريح ضميره إلا بأدائها بكل تكاليفها بالنفس والجهد والمال ، وفطرت النفس الإنسانية على التوحيد وعلى الخير، قال تعالى L ? > = < ; : 9 8 M [١]

وإذا قصر المسلم في هذا الواجب لزمته النصيحة التي هي عماد الدين وقوامه ، حتى تتحقق المصلحة من خير المنصوح له وكذلك الناصح وهي ثمرة الإيمان الصحيح ، ومقتضى الفطرة الصحيحة . ولجلال النصيحة وشأنها كان الرسل - عليهم السلام - ينصحون أقوامهم ، وكان سيدنا محمد r هو سيد الناصحين ولنا فيه أحسن الأسوة، وأعظم القدوة ، ومن أطاعه فقد أطاع الله تعالى قال سبحانه M ! " # $ % & ') (* + , - . L [٢].

لذا كانت هذه النصيحة من أعظم مسؤوليات المسلم ؛ لما لها من أثر في إصلاح شأن الأمَّة على أن تكون هذه النصيحة مؤسسة على علم صحيح وعمل صالح يراد به وجه الله تعالى، ويفوز من يطهر نفسه بالإيمان والطاعة، ويخسر من يضيعها بالكفر والمعاصي .

فالنفوس متفاوتة في موقفها مع النصيحة ودرجة قبولها للحق ، فهناك النفس المطمئنة فهي أسرع في قبول الحق ، وهناك اللوامة وهي التي تلوم نفسها على الشر لِم فعلته ! وعلى الخير لِم لا تكثر منه ، فأصحاب النفوس المؤمنة يسارعون إلى قبول النصح ؛ لأن من صفاتهم التواصي بالحق والصبر .

ولما كانت النفس تميل بطبيعتها إلى الشهوات كما قال تعالى : M " # $ & ') (* + , - . / 0 1 2 3 L [٣]. لا يستطيع الإنسان أن يسيطر عليها إلا إذا غلب العقل على الطبع ،والرأي على الهوى ، وروض نفسه على الرياضة المحمودة ، واكتسب من الخلال ما يزيد إيمانه ، ويعلم أن المعالي لا تنال إلا بتجرع المكاره ،ولا تدرك أطراف الفضائل إلا بتحمل المشاق[٤].

قال تعالى : M ! " # $ % & ' (* + , - . / 0 1 L [٥]، فالنصح ثقيل؛ لأنه ضد الهوى، والهوى يصد عن الحق قال سبحانه M ¼ ½ ¾ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ L [٦]، فالحق مر، ونصح من ينهى عن الهوى ثقيل إلا العاقل الكامل والحازم الفاضل .

وهنالك أسباب للإعراض عن النصح منها على وجه الإجمال (الكبر، والحسد ، والحرص على الدنيا ، والخوف من الصحبة والعشيرة ، والركون إلى الراحة، وحب الشهوات ، والجهل ، والتقليد للآباء والأسلاف) وغيرها .

---

(١) سورة الشمس الآية (٧ – ٨).

(٢) سورة النساء الآية (٨٠).

(٣) سورة يوسف الآية (٥٣).

(٤) الماوردي، أبو الحسن(١٩٨٣م) نصيحة الملوك ، تحقيق خضر محمد خضر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ص ١٦٣ وما بعدها .

(٥) سورة آل عمران الآية (٩٢).

(٦) سورة النازعات الآية (٤٠ – ٤١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وتقل هذه النصيحة ، والإعراض عنها لا غرابة فيه ؛ لأن أنبياء الله تعالى بلغوا رسالات الله تعالى ، وحملوا أمانة الدعوة ، وأخلصوا النصح لأقوامهم ، وكانوا يُقابَلون بالصد والعنف والتكذيب والعناد ، وقليل منهم من كان يستجيب للدعوة .

فالنفس تميل إلى التحرر من القيود والأغلال ؛ لذا جاء الحديث عن علاقة النصح بالحرية وحدود الحرية الإنسانية، وحدود النصح ، والذي سيأتي الحديث عنه

مفهوم النصيحة والحرية

أولا : مفهوم النصيحة :

النصيحة في اللغة : مأخوذة من مادة (نصح)، وتدور حول معنى الخلوص وحب الخير للغير.

نصحه ونصح له ، نصحا ونصيحة : تحرى ما ينصح له ، وأراد له الخير والنفع ودل عليه ونصح له الود (أخلصه)، ونصح لله : أطاعه وأخلص لدينه ولم يخالف أمره سرا ولا علنا ، ونصح الثوب : خاطه وأصلح ما فيه من عيوب وفتوق، والتوبة النصوح : هي التي تصلح العيوب ، والتي يظهر فيها الصدق والإخلاص ، وهي الخالصة من الشوائب.

والأصل: النصوح صاحبها : أي الصادق فيها، المتخلص بها من عيوبه، وتنسب النصح إليها للمبالغة[٧].

ونصح قلبه : خلا من الغش ، ويقال : نصح لفلان الود ، ونصح له المشورة : أرشده إلى ما فيه صلاح.

والنصيحة قول فيه الدعوة إلى صلاح ونهي عن فساد[٨].

والاسم: النصيحة والنصيح : الناصح ، ورجل ناصح الجيب أي : نقي القلب ، وانتصح فلان: أي قبل النصيحة، والناصح : الخالص .

والنصيحة كلمة أصيلة في اللغة استخدمها العرب في أساليبهم .

أما في الاصطلاح:

فهي كلمة أصيلة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجود الخير إرادة وفعلا[٩].

والنصح يؤسس على القيام بجميع وجوه الخير للمنصوح مع إخلاص النية .

ويقابل النصح : الغش ، والخداع ، والتغرير ، قال تعالى حكاية عن إبليس : M وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّصِحِينَ ﴿٢١﴾ L[١٠]، أي : أقسم لهما على ذلك ، وقيل: أقسما له بالقبول ، وقيل : أقسما عليه بالله إنه لمن الناصحين ، فأقسم لهما[١١].

ومن نقائض النصيحة : الغش ، والخداع ، والخيانة ، والغدر، والنفاق وكل ما يلحق الضرر بالإنسان.

ويتسع مفهوم النصيحة ليشمل جميع خصال الإيمان والإسلام والإحسان الواردة في حديث جبريل للنبي r عن الإيمان والإسلام والإحسان حيث سمى ذلك كله دينا لقوله r : " الدين النصيحة ، ثلاثا ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"[١٢].

---

(٧) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٢٠٠٣م) لسان العرب،ج١٤، دار صادر، بيروت. بتصرف

(٨) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (١٩٨٢م) ،ج٦، ط٣، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ص٥٢٦.

(٩) الحنبلي ، ابن رجب (د.ت) جامع العلوم والحكم ، ط١، المكتبة التوفيقية، ص٦١.

(١٠) سورة الأعراف الآية (٢١).

(١١) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد(١٤١٨هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل(تفسير البيضاوي)، ج٣، تحقيق: محمد صبحي ومحمد الأطرش دار احياء التراث العربي، بيروت، ص٩.

(١٢) مسلم (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) صحيح مسلم بشرح النووي ج٢، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت، حديث رقم ٥٥ ، ص٣٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومعناها أن النصيحة عماد الدين وقوامه .

النصيحة في القرآن الكريم :

وقد وردت مادة (نصح) في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة في إحدى عشرة آية في ست سور ، منها أربع مكية وهي: الأعراف، وهود، ويوسف، والقصص ، وسورتان مدنيتان هما: التوبة والتحريم.

وقد جاءت بعدة صيغ منها الماضي (نصحت لكم)، وصيغة المضارع (أنصح لكم) ، واسم الفاعل (ناصح) وصيغة المبالغة (نصوحا) وبصيغة المصدر (نصحي) .

أما النصيحة في السنة :

فقد عنى الرسول r بالنصيحة وجعلها أساس الدين وبين أن الإيمان لا يكمل إلا بالنصح ، وحب الخير للناس، والسعي في ذلك بالإرادة والقول والعمل وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله r : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[١٣].

ولعظم شأنها كان الصحابة رضي الله عنهم يبايعون الرسول r ويعاهدونه عليها فعن جرير رضي الله عنه قال بايعت رسول الله r على السمع والطاعة فلقني – فيما استطعت- النصح لكل مسلم[١٤] وعن أبي هريرة رضي الله عن قال، قال رسول الله r : (المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه)[١٥].

لذا لزمت النصيحة بالإرادة ، والقول، والعمل وحب الخير للناس ، ودعوتهم إلى تحقيقها، والتأسي برسول الله r .

والنصيحة فرض كفاية يجزى فيه من قام به ويسقط عن الباقين، وهي لازمة قدر الطاعة إذا رأى الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه[١٦].

وقد قال الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون M " # $ % & ' ( ) * + L[١٧] فهذه الآيات توضح لنا علاقة النصيحة بالدعوة وكيف أن الدعوة باستخدامها العام قد تكون إلى الخير ،وقد تكون إلى الشر حق أو باطل ،أما النصيحة فلا تكون إلا بالخير وبهذا الاعتبار فكل نصيحة دعوة وليست كل دعوة نصيحة .

أما التبليغ فهو الوصول للشيء والمشارفة عليه، وهي إيصال وتعريف ، بمعنى تعريفهم مثلا بالأوامر والنواهي ، وأنواع التكاليف ، أما النصيحة فهي حض وترغيب وترهيب مع إخلاص النية وإبداء الحرص على خير المنصوح له[١٨].

أما التعيير: فهو ذكر العيب بقصد التنقيص والتشهير، وهو كل شيء لزم به عيب ، وتعايروا (عير بعضهم بعضا)[١٩]، إلا أن ذكر العيب قد يكون للتنقيص والذم وقد يكون على سبيل النصيحة ،وهو إذا كان لتحصيل المصلحة العامة للمسلمين أو الخاصة لبعضهم فهو ليس بمحرم بل مندوب على أن تكون مقترنة بالستر[٢٠].

---

(١٣) رواه مسلم بشرح النووي ، ج٢، مرجع سابق، ص١٦ .

(١٤) المرجع السابق ، ص٤١-٣٩.

(١٥) المناوي، محمد عبد الرؤوف (١٩٣٨م) صحيح البخاري، فيض القدير شرح الجامع الكبير ، ج١، ط١، مطبعة مصطفى محمد، مصر ص٢٥٢.

(١٦) مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق، ص٣٩.

(١٧) سورة غافر الآية ٤٠.

(١٨) الرازي، فخر الدين (١٩٨٥م) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب،ج١٤، ط٣، دار الفكر، بيروت، ص١٥٧.

(١٩) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد(١٩٨٥م) القاموس المحيط، ج٢، دار الجيل، بيروت، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٢٠) الحنبلي، ابن رجب(١٤٠٥هـ-١٩٨٩م) الفرق بين النصيحة والتعيير ، ط٣، دار المؤمن للتراث، سوريا، ص٧٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يتضح من ذلك أن الإسلام قد ربى المسلم على مبدأين هما : إصلاح النفس بالإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح دليلاً على صدق الإيمان ، وإصلاح الناس بالتواصي بالحق ، وإعلائه ، والنصح والصبر عليه ، فلا يكفي أن يكون الإنسان صالحا في نفسه بل لا بد أن يكون مصلحا لغيره بدافع الشعور بالمسؤولية تجاه غيره .

ووجود العنصر المصلح بين أبناء الأمة من شأنه أن يدرأ الهلاك العام ، قال تعالى : M وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ × مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ L[٢١]

ثانيا : مفهوم الحرية :

الحرية لغة :

الحر بالضم نقيض العبد ، والحر من الناس: خيارهم وأفاضلهم ، والجمع أحرار وحرار ، والحرة : نقيض الأمة والجمع حرائر، وحرره : أعتقه ، والمحرر : الذي جعل من العبيد حرا ، وحرية العرب: أشرفهم، ويقال من حرية القوم : أي من خالصهم ، وفرس حر: عتيق ، وحر الفاكهة : خيارها ، والحر من كل شئ : فاخره ، والحر: العقل الحسن[٢٢].

تعريف الحرية اصطلاحا :

بالرغم من عدم اختلاف المفكرين من رجال القانون والسياسة ومن علماء الاجتماع في مختلف الأمم، وفي كافة العصور على أن الحرية هي الغاية السامية التي تتطلع إليها الأنظمة الحاكمة ، فإن الحرية كانت ولا تزال بعيدة عن أن يحدد لها معنى يقبله الجميع ، أو أن يتفق بصدد ممارستها على طريقة معينة.

(وكثيرا ما يتخذ لفظ الحرية شعارا للدفاع عن آراء متضاربة كل التضارب ومضللة إلى حد بعيد علقت به من جراء ورودها في كلام عامة الناس بل إنها في رأي بعض الكتاب أمست هذه الكلمة عقيما لا غنى للعلم فيها ولا جدوى)[٢٣].

فمعنى الحرية يختلف اختلافا كبيرا ، فيعرف المعجم العربي الأساس الحرية بأنها : حالة الكائن الخاص الذي لا يخضع لقهر أو غلبة ويعمل طبقا لإرادته وطبيعته[٢٤].

وتعرف الحرية كذلك : بأنها انعدام المعوقات الخارجية فحرية المرء مرهونة بقدرته على اختيار أهدافه أو طريقه أو سلوكه أو اختيار البديل المناسب له من بين البدائل المتاحة [٢٥].

يتضح مما ورد أن الحرية مصطلح شائع يجري بين ألسنة الناس ولا يوجد له تعريف محدد يدل عليها ويحيط جوانبها ، إلا أنها يمكن توضيحها باعتبارها كل معنى يهدف إلى إعلاء قيمة العقل الإنساني ، والحفاظ على حقوق الفرد مصونة ومنع التقول عليها من قبل الجماعة أو الأفراد أو الدولة تحت أي من الدعاوى .

ثالثا : الحرية في الأديان السماوية :

المبادئ الأخرى غير السماوية قد تكون خاضعة لاختيار الإنسان وإرادته باعتبارها من القضايا التي لا تنطلق من عنصر إلزامي مقدس خارج حياة الإنسان، بل تنطلق من خلال إرادة الإنسان الذاتية في فعله أو تركه ، أما الأديان السماوية فإنها تمثل إرادة الله خالق الإنسان ،الذي يريد له أن يبني الحياة ويحكمها على أساس إرادته فليس للإنسان

---

(٢١) سورة هود الآية (١١٧).

(٢٢) ابن منظور، ابن منظور، جمال الدين(١٩٥٥م) لسان العرب، ط١،ج٤، دار صادر، بيروت ، ص٨١- ٨٢، الأزهري، محمد بن أزهر(١٣٧٦هـ-١٩٧٦م) معجم تهذيب اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٧٨٣.

(٢٣) مالك كاستر، نشأة الحرية في التربية(١٩٩٣م) ترجمة: أمين مرسي قنديل، مراجعة: محمد بدران، مكتبة دار النهضة المصرية ، ص١-٢.

(٢٤) عمر، أحمد مختار (١٩٨٨م) المعجم الأساس العربي، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، ص ٣٠٥..

(٢٥) على، محمد أحمد (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية ط١، مجلة البيان، الكويت.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحرية - من ناحية ذاتية– في أن يقبل إرادة الله أو لا يقبلها، وإن كان له الحرية من ناحية المسؤولية ، في أن يختارها أو لا يختارها ، فلا بد له من أن يتعرف عليها ، لتكون عملية الاختيار منطلقة من أساس المعرفة الكاملة ، إذ لا مسؤولية بدون معرفة ، وفي ضوء هذا كانت المعرفة مسؤولية الإنسان أمام نفسه وخالقه فلا يعذر في ترك المعرفة من وجهة نظر عقلية ، وكانت المعرفة إلى جانب ذلك اللطف الذي يهبه الله للإنسان ليشق له الطريق إلى تحمل المسؤولية وممارستها ، فتقوم عليه الحجة بذلك إذ لا حجة في أي انحراف دون إعطاء الضوء للمعرفة الكاملة الشاملة.

وفى الوقت الذي تخلينا فيه عن تعاليم الدين وهجرنا كل قواعد السلوك ، بل أن الأجيال الحديثة لتجهل هذه القواعد فقد أصبح الاعتدال والشرف والصدق والمسؤولية والطهر وضبط النفس وحب الجار كلها عبارات بالية ومجرد كلمات خاوية من المعاني أما المعتقدات الدينية فلا يذكرها الشباب ولا أثر لها في قواعد السلوك فنحن نسبر المبادئ ونمحصها ونأخذ منها ما نريد سواء أكان سماويا أم غير سماوي دون النظر إلى الأمر السماوي الذي له الحجة والسلطان فقد أصبح أصحاب الأديان السماوية غير الإسلام يسيرهم الفراغ الروحي ويبتعدون عن كل تعاليم جاء بها علماؤهم من أحبار ورهبان يمارسون عليهم الطغيان باسم الدين

ونسوا أنه يجب أن يكون المهيمن على عمل الإنسان هو خوف الله وأن الإنسان يجب أن يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته ، وهذا الشعور الديني إذا تعمق وصلح يرفع الإنسان إلى مصاف الإنسانية ويقاوم بذلك حقده وحسده وأنانيته .

ونرى أصحاب الديانات الإلهية كلما زاد إيمانهم ضعف تعلقهم بالدنيا وتحرروا من العبودية والخضوع لغير الله 7 | \ [Z Y X W V U S R Q P 0 N M K J I H G F E D C M 8 ^ _ ` a L[٢٦]

وبالتالي يتحرر الإنسان من سيطرة غيره والخوف منه فصاحب الإيمان القوي أيا كانت ديانته السماوية لا يعرف القلق ولا الاكتئاب ولا اليأس ولا القنوط من رحمة الله ضميره يقظ حريص على تحقيق شريعة الله في أرضه[٢٧].

رابعا : الفرق بين الحرية في الفكر الإسلامي والفكر الغربي :

التصور الإسلامي للإنسان انه مخلوق خاص ذو كيان متميز ، تميزه في ازدواج عناصر تكوينه ، مستخلف في الأرض ، مزود بخصائص الخلافة ، وهو كائن كريم كرمه الله وخصه بمقام الخلافة في الأرض[٢٨].

وبينما نشأت الحرية في الغرب نتاجاً طبيعياً للصراع بين الكنيسة ومخالفيها وثورات ودماء فإن الحرية في الإسلام نشأت أصيلة سبقت كل الديمقراطيات المعاصرة قبل أربعة عشر قرنا من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان .

فالحرية في الإسلام ثورة كونية ترتفع بالحقوق والقيم في نظر الإنسان إلى أعلى فأعلى ، وإلى أكمل فأكمل.فالإنسان مأمور بالسعي والعمل والاستمتاع بما عمله وكسبه و من نعمة الدنيا وزينتها ، أمره من ذلك كأمره برعاية حقه من العدل والحرية والكرامة .

فالحرية هي منهج الإسلام منذ أن نزلت الرسالة على البشر ، وقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة و تواترت للحض على الحرية والتحرير والنهي عن الظلم والجور .

ضوابط الحرية في المنظور الإسلامي:

فالحرية كقيمة في نسيج القيم والسلوك التي دعا إليها الإسلام ليست مطلقة بل نسبية وبمقدار معين ، فهي مقيدة بنوعين من القيود :

---

(٢٦) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

(٢٧) الماردينى، محمد حسين (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م) الحرية والدين، ط١، المكتبة الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ص ٢٣٢.

(٢٨) قطب، سيد (١٩٨٨م) مقومات التصور الإسلامي، ط٣، دار الشرق، قطر، ص٣٦١ - ٣٦٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١. لضبط سلوكه حتى لا تنحط ذاته للدونية التي لا يليق به فيفقد كرامته وتفضيله على المخلوقات .
٢. لضبط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في المجتمع الواحد، وضبط علاقة الإنسان بالمجتمع ، والمجتمعات البشرية ببعضها بعضاً وإلا عمت الفوضى وضاعت الحقوق .

وقد أقام الإسلام هذه القيود على قاعدة من التوازن؛ فالقيود التي حواها النوع الأول لا يمكن أن تؤدي إلى كبت وخنق ما في بنيان هذا الكائن الرائع من طاقات فكرية، وعواطف وغرائز وميول ركبت في صميم تكوينه .

أما النوع الثاني من القيود فإنه يحول دون طغيان الفرد على الفرد، واستغلال الفرد للمجتمع ، والمصلحة العامة، وسحق المجتمع للفرد والمصلحة الخاصة، واستعلاء المجتمع القوي على المجتمع الأضعف.

ولا بد من العمل على ضبط وتقييد الحريات فلا يسمح بممارسة الحريات الخاصة ضد الدين وضد مصالح الأمة والدولة ، فالصالح العام يسبق المصالح الشخصية والفردية .

فالحرية في الإسلام مشروطة بشروط ، ومقيدة بأكيال، ليست شرا بل هي خير وبركة للفرد والجماعة

فالحرية الإسلامية تعني أن يكون الإنسان حرا يعتقد ويعمل ما يشاء على شرط أن يكون اعتقاده وعمله مبنيين على علم صحيح، وعقل صحيح ، وإلا فالحرية من الجهلاء والسفهاء ممنوعة ولا يجوز منحها للبغاة والطغاة ، ولا يجوز للفساق ؛ حتى لا تنقلب معاني الحرية للإباحية في الإجرام والفساد .

كذلك لا يجوز إعطاء الحرية لأهل الإرهاب، والمريض الخطر، والمجنون، والقاصر، والسفيه، وداعية السوء ، وناشر الرذيلة ؛ حتى لا يؤذون أنفسهم ولا غيرهم ، فتحيطهم وتلزمهم بحدود تحميهم وتحمي الناس من حولهم تحقيقا لمعنى الأمن العام والسلامة المشتركة[٢٩].

والمشهور أن الغرب عموما يعتبر أن الحرية مفهوم لا يعرفه الشرقيون وتاريخهم عبارة عن نفق مظلم طويل من المظالم والاستبداد والراجح أن الإنسان المسلم يعيش في واقعه الراهن مأساة الافتقار إلى الحدود الدنيا من الحقوق التي كفلها له الإسلام من فرائض وواجبات عامة لا مجرد حقوق في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والتفكير والتعبير.

الإسلام دين الحرية:

أولا: الحرية من الفروض الأساسية في الإسلام :

الحرية الإنسانية فطرة فطر الناس عليها ونزعة أصيلة أودعها الله وجدانهم ، فقد خلق الله الإنسان حرا طليقا من شتى الأغلال والاستعباد ، وأعلى قدره ، ورفعه درجات على سائر المخلوقات

والقرآن الكريم يعتبر تحرير الإنسان من القيود والأغلال هو جماع رسالة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم الذي بعثه الله للناس ليحررهم من أغلال الجاهلية بعد أن أمضى الإنسان على ظهر الأرض عمرا مديدا لم يخل تاريخه من الاضطهاد وإهدار الحقوق والكرامات[٣٠].

ولا يتصور العقل وجود نظام دون عقيدة وعمل، فالجنس البشري ضعيف محدود تجعله حدوده يتعثر ويهدم ما بناه ، وتقتضي العدالة الإلهية أن يتدخل الله تعالى ليضع لهم نظما تهديهم سواء السبيل فخلق للإنسان العقل والإرادة وأودع فيه القدرة على العمل وترك له حرية العمل

وقد كانت الحرية من أصعب الأعباء على الإنسان فأساء بعضهم استعمالها مثل الظالمين والجبابرة والمخادعين الذين ابتكروا حيلا للضغط على الحريات وتضييقها وخنقها واستعانوا على ذلك بزعم انتمائهم إلى دين أباح لهم الحكم على

(٢٩) أبو حبيب، سعدي (١٩٨٥م) دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٦٨٧ – ٦٨٨.
(٣٠) جمال، أحمد حمد(د.ت) على مائدة القرآن ، ط٣ ، دار الشروق، القاهرة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الناس دون وازع يحدد تلك الحريات بأدلة وحجج ونصوص قاطعة فالحرية التي لا تقوم على دليل شرعي ومنطقي هي فوضى لا ينبغي إتباعها .

فإن البيئات التي تستمتع بمقادير كبيرة من الحريات المقيدة بشرع الهي هي التي تنضح فيها الملكات والمواهب وهي السند الممتد لكل رسالة ولكل حضارة نافعة.

ولم يكن الفكر الإسلامي في تناوله لقضية الحرية على اختلاف مدارسه الفكرية والمذهبية مقطوع الصلة بحياة المسلمين وواقعهم الراهن ولم تكن مجرد كلمات وليدة الخيال ولكن واقع معاش وموثق بمعارف الوحي ورقابة المجتمع والرأي العام المسلم فإن الحرية تلد المسؤولية، والمسؤولية توجه الحرية ، فهي الوجه الآخر لها لأن كل نشاط دنيوي لا يوجه بالقوانين والقيم والمثل يؤدي إلى التحرر والخلط بين الحرية والفوضى فلا بد أن توجه الحرية بناء على القوانين والنظم والقيم التي هي بمثابة الأساس لكل تنظيم أو التزام إذا فالحرية قدرة ومسؤولية ، قوة في العقل وتجديد وتطوير للمعارف منضبط بضوابط الشرع(٣١).

ثانيا : انطلاق مبدأ الحرية في الإسلام من التزام عقدي لدى الفرد المسلم

هذا الالتزام العقدي الذي يدفعه إلى ترجمة هذا الالتزام وتطبيقه في واقع الحياة ، ترجمة ثابتة للأصول والمقومات، معلقا سلوكه على تقديرات وأحكام يستطيع فيها الإنسان الموازنة بين علاقته بالمشيئة الإلهية والسنن الكونية ، الجبر والاختيار في السلوك، العلاقة بين الدنيا والآخرة ، مما يقتضي التزام المسلم بتجسيد المنهج الرباني وفق مقتضيات الواقع ، والتزام سلوك يحقق إرادة الله في خلقه .

وقد كفل الإسلام منذ عهد التنزيل حرية الإنسان وراعى ذلك في تشريعاته وأحكامه التي نزلت بها نصوص الوحي ، ولكنه لم يطلق هذه الحرية من غير ضابط ليمارسها الإنسان متى أراد ، وكيفما أراد ، بل جعل لها ضوابط تحكمها وأحكاما تقيدها حتى تتحقق مقاصدها الخيرة للفرد والجماعة وتتمثل هذه الضوابط في :

١. أن تكون الحرية منضبطة بحدود الشرع ومتحررة من الشهوات، موافقة لمقصد الشريعة في جلب المصالح ودرء المفاسد، ويكون الإنسان معها محررا من سائر العبوديات الأخرى غير عبودية وسلطان الله تعالى. وأيضا التحرر من شهواته الضارة بنفسه وبمجتمعه يقول محمد قطب: (ومع أن هذه الحرية تكريم رباني تفضل الله به على الناس فإن بعض الفطر تنتكس مستخدمة حريتها في عصيان الله والاستكبار عن عبادته، بدلا من أن تختار الهدى وتستقيم عليه)(٣٢).
٢. ألا تؤدي حرية الفرد أو حرية الرأي إلي الإضرار بالمجتمع وبحرية الآخرين ، فتفوت بذلك حقوقهم، والفرد لا يمكنه أن يستأثر بحرية فائضه عن حدوده ومستقطعة من حرية الآخرين دون وجه حق ، فحريته إنما تنتهي حيث تبدأ حرية الآخرين .
٣. أن تكون هذه الحرية قائمة علي أساس من التوحيد والعبودية لله : فلا حرية للإنسان إلا بتوحيد الله وعبوديته وحده ، لأن ذلك مما يحرره من عبودية النفس والشيطان والناس وسائر المعبودات الأخرى المذلة للإنسان .

فالحرية هي حرية منضبطة بسلطة الأخلاق والدين والمجتمع وليس كما يقولون إن الحرية تحررا من الضوابط ، وإنما هي تهذيب النفس والاستعلاء علي الشر والتسامي إلي الخير العام وإننا نطالب بالحرية في ظل شريعة الله لنقوم جميعا ببناء أوطاننا في جو من الحرية والحب والأخوة والمساواة .

ثالثا : المشيئة الإلهية والسنن الكونية

---

(٣١) الماردينى، الحرية والدين، مرجع سابق، ص٢٤.

(٣٢) قطب، محمد (١٩٩٨م) كيف ندعو الناس، المكتبة الإلكترونية، ص١٣٤.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أتى الإسلام بنظرة محددة للكون ، توضح مكانته وموضوعه وموقعه بالنسبة للإنسان من خلال التصوير العقدي لخالق هذا الكون والكائنات جميعاً ، ويتحدد التصور الإسلامي للكون كما يأتي :

١. إن الله هو خالق الكون وقواه ومحتوياته ، وقد وردت الآيات المتصلة بالكون ،توجه الإنسان إلى التفكير والتدبر الذي يصل به إلى مرتبةٍ رفيعة من الإيمان عن طريق تلمس الغاية من الأشياء داخل إطار الكون المادي أو حدوده الطبيعية.
٢. إن الكون مهيأ وصالح ، وقد مهد تمهيدا للنظام البشرى على أرضيته ، فهو إذن مساعد لوجود الإنسان ارقي نمـــوذج الحياة ، بصفة خاصة .
٣. الكون واحد تتعدد أبعاده ويتسع ويتغير، وبقدر ما يتم لعلمنا اكتشافه والإحاطة به يكون الإيمان.

إن الإنسان يجب أن يمشى ويتحرك، ويجد ويكد مستخدما كافة إمكانياته من اجل أن يوفقه الله ،ويعطيه ما يريد ، ويكتشف ويبتكر من إبعاد الكون مادام يقدر، وهو يقدر أن شاء الله. وعلى ذلك يمكن تحديد الإمكانات الكونية المتاحة والمسخرة للإنسان في تسخير ما على الأرض من جبال وبحار وحيوان قال تعالى :M4 5 6 7 8 9 L K J I H G F E D C B A @M 8 7 [٣٣] L C B A | ? > = < ; : [٣٤]. فسخر البحر. وسخر الحيوان كما سخر الكون من القمر والشمس وليل والنهار والرياح ، فالعلاقة إذن بين الإنسان والكون علاقة استثمار وانتفاع ، هذه العلاقة لا يوجد فيها عنصر العداء لا من جانب الإنسان ولا من جانب الطبيعة ، فالطبيعة ليست عدواً للإنسان ، فهي خير صديقٍ له وخير أداة لتقدمه ولنفعه وخدمته وخدمة بنى جنسه ، وخير محل لنظره العقلي ومتعته الروحية والجمالية ، وذلك إذا ما استطاع الإنسان أن يكشف قوانينها وكنوزها ، وأن يستجلى جمالها وروعتها ودلالتها على جود وعظمة خالقها ، وإذا ما عرف كيف ينتفع بخيرها وكيف يتصرف فيها بحكمة لخيره وخير الإنسانية ، مستشعراً على الدوام عظمة الخالق بما أنعم عليه من نعمة الخلافة في الأرض لتعميرها واستثمار مكنونها ، ومن نعمة العقل والحواس والجوارح التي بها يتمكن من النظر في هذا الكون ومن بسط سلطانه عليه[٣٥].

فالفكر الإسلامي يمكنه من استثمار هذه العلاقة بين العقيدة والإنسان والكون في المشروع التنموي الإسلامي ، وذلـــك بتوجيه المسلم للنظرة الحقيقة للكون، النظرة الفاعلة وليست المستكينة ، فإنه لا يصلح للعقل المسلم ولا يقبل منه إلا أن يعي وحدة الخلق وغايته فإن فطرة التوحيد وعقيدته في العقل المسلم تكون دليل حركة العقل المسلم في التعامـــل مـــع الكائنات والأحداث الكونية من منطلق الغائية ومن منطلق النظام.

إن غائية الخلق في دور خلافة الإنسان ومسؤوليته في إدارة الكون وتعميره تحتم علي العقل إدراك منطق حركة هـــذه الكائنات ونواميس أدائها حتي تحمل مسؤولية إدارتها ورعايتها وفق ما تفتضيه غايات الخلق والاستخلاف في الأرض .

رابعا: التوازن بين عبودية الإنسان المطلقة لله تعالي ومقام الإنسان المكرم عند الله

جاء الإسلام منذ بداية تنزيله ليقرر كرامة الإنسان وعلو منزلته ، حيث بدأت أول الآيات القرآنية في الإسلام بتحرير الإنسان من الجهل وأنارت طريقه للعلم ، وقراءة كل ما في الكون باسم الله وحده ، وهذا هو التحرير للإنسان حيث حررته من الارتهان كليا لغيره من المخلوقات في فهم ماحوله من موجودات . قال تعالي M L K N M O P Q

(٣٣) سورة الملك الآية (١٥).
(٣٤) سورة الكهف الآية (٧).
(٣٥) الشيباني ، عمر محمد (١٩٧٥م) فلسفة التربية الإسلامية ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، ليبيا، ص٥٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

L] \ [Z Y X W V U T S R [٣٦]، وهذه هي أول خطوات التكريم للإنسان أن حررته من جهله ومن تبعية المخلوقات غير الراشدة . ولقد أوصى الإسلام كذلك باحترام الإنسان لأخيه الإنسان وعدم امتهانه واحتقاره، لأنه مكرم عنده عز وجل : قال تعالي: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k L p o n m l [٣٧]، فتقدير الإسلام لهذه الكرامة الإنسانية للإنسان مكفول وثابت للفرد والجماعة على السواء ، رجالاً أو نساءً ، حكاما كانوا أو محكومين ، ولا فرق فيها بين لون ولون ، ولا بين جنس وجنس ، وقد ذكر علال الفاسي في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية أنواع الجهاد لتحصيل الكرامة ، فجعل الجهاد للحرية أول أنواع هذا الجهاد ، ثم قال: الكرامة حق لكل احد برأً كان أو فاجرا، تقيا ، أو عاصياً[٣٨].

ومن مظاهر تكريم هذه الرسالة الإسلامية للإنسان، أن جعلته حرا في اختيار إرادته، ولو كان الاختيار متعلقا بالعقيدة والمرجعية الدينية التي يريد اعتناقها، ويتجلى ذلك في قوله تعـــالي :M لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد × ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ à فَقَدِ â بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ ç é ê ë ﴿٢٥٦﴾ L [٣٩]

M إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ L [٤٠] كما أن وجود أناس على الإيمان وآخرين علي الكفر منذ بدء الخليفة دليل ساطع علي هذه الحرية التي منحها الله لعباده ، فقد زود العنصر الإنساني بالملكة العقلية التي بها يتاح إعمال الفكر، وحرية الاختيار بين طريقي الحق والباطل، قال تعالي :M p q r L[٤١]، ومن المظاهر الدالة كذلك علي تكريم الإسلام لهذا الانسان، أن حرمت الشريعة الاعتداء علي حريات هذا الانسان وحرماته : حرمت سفك دمه ، وقتله إلا بالحق، ففي الحديث النبوي (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم علي المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه)[٤٢]، وحرمت الشريعة كذلك التجسس عليه والاعتداء على امنه وطمأنينته واستقراره في مجتمعه، قال تعالي: M ! " # $ % & ' ( ) * + - . / 0 1 2 3 4 5 L D C B A @ > = < ; : 9 8 7 6 [٤٣]، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا، ولاتنافسوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا)[٤٤].

إن الغاية الوجودية للإنسان في حد ذاتها تعتبر دليلاً علي هذه الكرامة للإنسان ولحريته ، قال تعالي :

M C D E F G H I L [٤٥]، فالآية مقصدها تحرير الإنسان من عبودية غيـــر الله وتعميـــر الأرض بعقيدة التوحيد ، وعدم حني الإنسان هامته إلا لله سبحانه الذي خلقه وأنعم عليه .

حرية الاعتقاد والفكر والعمل

(٣٦) سورة العلق الآية (١ – ٤).

(٣٧) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٣٨) الفاسي، غلال(١٩٩٣م) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ط٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ٢٣٥.

(٣٩) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤٠) سورة الإنسان، الآية ٣.

(٤١) سورة البلد، الآية ١٠.

(٤٢) صحيح مسلم بشرح النووي مرجع سابق، رقم ٢٥٦٤ .

(٤٣) سورة الحجرات، الآية١٢.

(٤٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الأدب ، باب ما ينهي عن التدابر والتحاسد، ج ٨، ص٢٣، حديث رقم ٥٧١٧ .

(٤٥) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أولا : حرية الاعتقاد وعلاقته بالنصيحة :معنى حرية الاعتقاد : حرية اختيار كل ذي دين دينه ومذهبه، لا يجبر على تركه ولا يكره على التحول منه للإسلام بأي حال من الأحوال(٤٦).

قال تعالى : M لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد × ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ à فَقَدِ â بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ ç é ê ë ﴿٢٥٦﴾ L (٤٧) ، وقال سبحانه :M A B C D E F G L(٤٨).

وقد هيأ الله تعالى الإنسان بما يمكنه من القيام بواجب الخلافة في الأرض وأداء الأمانة التي عرضت على السموات والأرض فأبين حملها .

فكانت من أوائل الحريات التي منحها له الله تعالى حرية الاعتقاد حتى استبان له الحق ،ولم يرض لنبيه أن يعرض دينه على المخالفين وإن كان هو الحق بل عرض عليهم العقيدة في جلاء ووضوح وبصيرة يختار كل دينه وعقيدته بلا جبر ولا إكراه .

واختيار وامتناع بعد البيان والإدراك دون غصب أو إجبار ، فجاء هذا الدين وخاطب العقل البشري بكل قواه وطاقاته يخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، والوجدان المنفعل ، والفطرة السليمة والكيان البشري كله.

والذي يسلب إنسانا حرية الاعتقاد يسلبه إنسانيته ابتداء، ومن حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة والأمن من الأذى والفتنة، فالإسلام هو أقوم منهج للمجتمع الإنساني، وأرقى تصور للوجود والحياة .

وقد كان حق إتاحة الحرية الدينية داخل المجتمع الإسلامي لغير المسلمين من سائر الملل والنحل والتسامح أمام المخالفين مثار إعجاب معظم الدارسين لتاريخ الإسلام ، والذي لم ترق إليه سائر الأديان والايدولوجيات المعاصرة .

فقد قرر الإسلام حرية العقيدة قبل إعلان حقوق الإنسان من قبل المنظمات الدولية – بأربعة عشر قرنا- مع توضيحه لإثباته قال تعالى M H I J K L d L (٤٩)، وقال سبحانه : M ? @ A B C D E F G L L K J I H(٥٠).

ولكن ذلك لا يؤدي إلى حجر ممارسة الآخرين لأديانهم، والاحتفاظ بها ، وممارستها عبر تاريخ الإسلام في الوقت الحاضر .

وقد قرر مبدأ التسامح الديني في الإسلام ، قال تعالى : M | { ~ يَدۡعُونَ مِن ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ كَذَٰلِكَ » ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹(٥١)L، وقال سبحانه :M v w x y z { | ~ بِٱلَّتِي هِيَ ¢ ¤ ¥ ¦ § ¨ © عَن » ® ¯ ° ± L(٥٢)، أما حرية الرأي فهي قدرة الفرد على التعبير عن أرائه وأفكاره بحرية تامة بغض النظر عن الوسيلة التي يشكلها سواء كان بالاتصال المباشر بالناس أو غير المباشر. فالحريات إما شخصية وإما حريات عامة :

الحرية الشخصية: هي حرية العقيدة الدينية، الأمن أو السلامة البدنية والذهنية، حرية السكن والإقامة والتنقل وغيرها .

أما الحريات العامة: فهي حرية الرأي ،حرية البحث العلمي، الصحافة، الاجتماع، الأحزاب والنقابات والجمعيات.

---

(٤٦) القرضاوي، يوسف (١٩٧٧م) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط١، مكتبة وهبة ، ص ١٨.

(٤٧) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤٨) سورة يونس، الآية ٩٩.

(٤٩) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٥٠) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٥١) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٥٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و قدرة الفرد على التعبير عن رأيه لابد أن تكون وفق ضوابط الشريعة ، وكذلك تشمل المطالبة بالحق والشكوى من الظلم ، وتنبيه الحاكم إلى أخطائه وتقويمه ، إبداء الرأي في شأن من شؤون الدولة والحياة المدنية.

وليس أدل على حرية الرأي والتفكير تلك المحاولات التي يحكها القرآن الكريم بين الرسل وأقوامهم .

و يتضح من ذلك علاقة النصيحة وأثرها في ضبط كامل الحريات في الإسلام ولا سيما حرية النقد والنصح فالإسلام شديد الاحتفاء بحرية النقد والنصح، وينظر إليها الإسلام لا على إنها لكل إنسان حق أن يأخذه إذا أحب أو يتركه بل هي (واجب)، وفرض وحتم على المسلم أن لا يدع الخطأ والمنكر يمر أمامه وهو صامت ، فنقد الخطأ واجب ، وإسداء النصح للمخطئين واجب، وعلى المجتمع كله النهوض به؛ لإظهار الحق وقيام الحق، قال تعالى : M ! " # $ % & ' L [٥٣].

ثانيا : حرية الفكر وعلاقته بالنصيحة :هو مكمل لحرية العقيدة ، ومتولد عنه ، وهذا البعد يتعلق بحرية الإرادة الإنسانية ، لكن ضمن إطار الالتزام العقدي الأشمل . و حريات الفكر تشمل : حرية العقيدة ، التعليم ، الصحافة ، الرأي ، والفكر الإسلامي في المجتمع الإسلامي فكر حر ومبدع تتنوع عطاءاته وتتكامل ولكن في النهاية لا يتعلق مساره وانطلاقه إلا بغاية وجود الإنسان في الإصلاح والإعمار .

وكما عرفنا فالحرية فطرة في الإنسان ، فننظر لآيات الله نجدها تجعل التفكير والتدبير من الفرائض الواجبة على الإنسان ليهتدي بفعله إلى خالقه خلال تأمله في المخلوقات

وتتضح قيمة حرية الفكر في الإسلام في القيمة الكبرى التي وصفها الإسلام للعقل والعلم، ولعل الآيات التي تنتهي بكلمة يعقلون، يعلمون، يتفكرون ، يتدبرون، كثيرة جدا، والآيات التي تحض على النظر والتدبر والتفكر هي الطريقة الأمثل للتعرف على الله ، وخشيته وتقواه، والوقوف في حدوده ، ويتم ذلك كله في ظل حرية واعية للعقل في تفكيره والتعبير عنه.

ومنع الإنسان من التأمل في ذات الله تعالى ؛ لأن ذات الله تعالى قاصرة العقول الإنسانية عن إدراكها والوصول إلى كنهها، فهو مضيعة لطاقات البشر دون جدوى، وهنالك من آثار الله تعالى في كونه ما يغني الإنسان عن التفكير في ذاته تعالى .

وتتبع حرية التفكير حرية التعبير باللسان أو القلم فهذا ما يسمى بحرية الرأي دون الدعوة إلى إضعاف الدين والحلف والترويج للإلحاد والزندقة والكفر فهي دعوة خبيثة يجب معادتها والقضاء عليها .

ورغم أن الحرية في الرأي تعني التعبير عن حيوية الطبيعة البشرية وحيوية المجتمع البشري إلا أنها لا تعني التحريض على العصيان أو التضييق أو الإحراج وعدم إعطاء الفرصة للآخرين ، وكذلك تضاد التبعية المطلقة كما تضاد التقليد في غير تصرف أو تخلف عنه ، فهي حركة نشاط مستمر في الملائمة بين الإنسان ومجال حياته طالما يعيش الإنسان في ظروف وأحوال متغيرة ، قال تعالى : M بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ × L [٥٤] فهي صورة للقطيع الذي يمضي وينساق ولا يسأل ولا يعرف معالم الطريق .

وطاعة الإنسان المطلقة لأخيه الإنسان على أي وجه من وجوه العبودية لغير الله تعالى شعبة من شعب الشرك فهي للعلماء والمشايخ والأحبار والرهبان والحكام شرك بالله تعالى .

وقد غرس رسول الله r في القلوب من الولع بالحرية الفكرية ، وما لقنه أتباعه من خلال سلوكه وتصرفاته المتزنة درس عن حق الإنسان في إبداء الرأي مقابل أخيه الإنسان بجانب تربيتهم على طاعة الله فيما يأمر ويريد .

---

(٥٣) سورة العصر الآية (١ – ٢).

(٥٤) سورة الزخرف، الآية ٢٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثالثا : حرية العمل وعلاقته بالنصيحة

حرية العمل في الإسلام مقيدة بنوعين من القيود :

١. لضبط سلوكه حتى لا تنحط ذاته إلى الدونية التي لا تليق به ، فيفقد كرامته و تفضله على خلق الله .
٢. لضبط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في المجتمع والإنسان بالمجتمع و بالمجتمعات البشرية بعضها البعض إذ يعتبر هذه الضوابط تضييع الحقوق و تعم الفوضى و ينتشر الظلم و الفساد

و قد أقام الإسلام هذه القيود على قاعدة من التوازن و الاعتدال و عدم الإفراط و التفريط ، فالقيود من النوع الأول لا تؤدي إلى كبت و خنق طاقات الإنسان الفكرية و عواطفه الجياشة و قيود من النوع الثاني تحول دون طغيان الفرد على الآخر و استغلال الفرد في المصلحة العامة و سحق المصلحة الخاصة أو الفردية .

فحدود الحرية الشخصية في الإسلام إذن هو عدم إيذاء الآخرين فرفع الضرر أمر واجب و المجتمع و الدولة مكلفات بفعل كل ما في طاقتهما لدفع هذا الضرر .

وأدق ما قيل في تصوير ذلك ما قاله رسول الله r_من (أن مثل القائم على حدود الله و الواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فكان الذين في أسفلها إذا استقوا مروا من فوقهم فقالوا لو أن خرقنا في نصيبنا خرقاً لم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم و ما أرادوا هلكوا جميعا و إن أخذوا على أيديهم نجوا و نجوا جميعاً) وقد اخرجه البخاري في كتاب الشراكة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه رقم (٢٤٩٣) وكذلك في كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات رقم(٢٦٨٦) . تلك الحدود المأمونة للحرية الشخصية و هي الوسط المقدر بين اتجاهين متطرفين .

والإسلام يذهب أبعد من ذلك في دفع الضرر و صيانة المصلحة العامة و الخاصة لجميع الأفراد فهو لا يمنع حق الردع و الزجر لولي الأمر وحده _ وهو ممثل المجتمع المكلف بشؤونه _ بل يجعل كل فرد في الأمه مكلفاً تكليفاً شخصياً بتغيير المنكر سواء وقع عليه أو على أي مسلم آخر فمن رأى منكم منكراً فليغيره بيده أو بلسانه أو بقلبه وذلك أضعف الإيمان ،ولاشك ان باليد للذي تملك عليه سلطه وهي لأولي الأمر في الولاية العامة والخاصة، اما ما باللسان فهو لمن لا يملك سلطة من باب التذكير والترغيب والترهيب وهو في مقدور أهل العلم من أئمة العقول والأفكار ، أما الذي بالقلب فهو واجب على الجميع وهو لا يتعدى صاحبها وهو تألم القلب لهذا المنكر وكراهيته له ولأهله وتمني زواله وهذا أضعف درجة. .

و ليس كما قالت الجبرية من أن الجزاء غير مرتب على الأعمال ولا كما قالت القدرية من أن الجزاء مرتب على الأعمال ترتيب العوض و الله تعالى خالق الأسباب و المسببات فيرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته .

ونعرف أن الذنب يكسب الذنب إلا من تاب ، فإن التوبة النصوح الخالصة لا يختص بها ذنب دون ذنب إلا الغافل فالذنب عنده يكسب الذنب و عقاب السيئة سيئةً بعدها فالذنوب كالأمراض يورث بعضها بعضا وقد قال إبليس è M n m l k j i h g f e d M(٥٥) L ﴿٨٣﴾ ٱلْمُخْلَصِينَ ï î ﴿٨٢﴾ إِلَّا ë ê é

(٥٦) L u t s r qp o

اعتماد مبدأ النصيحة على ضرورة الايمان بالقضاء والقدر

أولا : ضرورة الايمان بالقضاء والقدر :

(٥٥) سورة ص، الآية (٨٢ – ٨٣).

(٥٦) سورة الحجر ، الآية (٤١ -٤٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قضية القضاء والقدر من أكثر المسائل التي شغلت العقل الانساني وتفكيره منذ القدم حيث وقف الإنسان عاجزا أمام سنة الكون و القانون الذي يحكمه منذ الازل ، وأن الذي عليه الجمهور أن الله تعالى هو الذي يقضي ويقدر وانه خالق كل شيء حتى أ فعال العباد الاختيارية التي عليها خلاف القدرية والجبرية المشهور .

و بقدر ما أصبحت الحرية في الفلسفة الغربية واقعا لا صله له بالإرادة الالهية فيردها بعضهم إلى البيئة ويقولون أن الإنسان ثمرة بيئته وكما يردها ماركس إلى أن الإنسان ضحية الأوضاع الاقتصادية فإذا تحرر الإنسان منها و لم يعد لها سلطان عليه تحقق حريته في صورتها العليا وهي حريته الاجتماعية .

بينما يردها سارتر الى قدرة الإنسان في السيطرة على ما هيته و تحقيق ما ينشده بذاته بقدر ما ظلت الحرية في الإسلام رهينة العقل المفكر الذي يختار، وإن اختلف الإسلاميون في مدى هذا الاختيار وحدوده.

والتهمة التي تنسب إلى الإسلام من أنه يدعو للتواكل وانعدام الإرادة الإنسانية لا أساس لها من الصحة فالإنسان في الإسلام يفعل الخير مختارا فيثاب ، و يفعل الشر فيعاقب و بتلك الحرية، و هذا الاختيار كلفه الله به و ارسل اليه الرسل تهديه و ترشده ثم تركه يختار لنفسه من مسلك الخير او الشر M 8 9 : ; < = > L ? [٥٧].

فالقضاء والقدر مرتبطان بفعل الإنسان و مسلكه في الحياة سوى النظام العام الذي خلق الله عليه الكون وربط فيه بين الاسباب و المسببات ، و النتائج والمقدمات ، وخلق الإنسان حراً مختاراً غير مقهور ولا مجبور، مع شمول علم الله تعالى لما سيقوم الإنسان باختياره من هدى او ضلال ، خير أو شر ، و ليس في علمه هذا تعالى شيء من معاني القهر و الإلزام دائما هو انكشاف ما وقع وما سيقع.

ولا يسمح الله بأن يضل وينحرف الإنسان ثم يعتذر بالقضاء والقدر ولو صح ذلك لبطلت التكاليف .

فالإيمان بالقضاء و القدر يحفز الإنسان للعمل الصالح و هو ظاهرة فعالة محركة تمد الإنسان بزخم هائل من النشاط و الاندفاع لكن بمعنى في الحياة ساعياً قوياً مطمئناً[٥٨].

ثانيا : قدرة العبد هي مناط الأمر و النهي :

الاستطاعة والقدرة والطاقة لدى العبد هي مناط الأمر والنهي وقد تتوفر هذه القدرة في العبد قبل الفعل وأخرى تكون للعبد مع الفعل فلا يجوز أن يكون الفعل بقدرة معدومة فتكون معه، أما القدرة التي هي من جهة الصحة والتمكن وسلامة الآلات فقد تتقدم الفعل وذلك مثل قولة تعالى M | { ~ ¢ £ ¤ ¥ ¦ ¯ L [٥٩] وكذلك قوله تعالى M y x w z © L [٦٠] فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة فقوله تعالى M u t s x w v L [٦١] المراد منه استطاعة الأسباب والآلات.

أما ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة فقد ذكر مثال لها قول الله تعالى M 4 5 6 7 8 9 : ; L [٦٢] والمراد نفي حقيقة القدرة لا نفي الأسباب والآلات ولا يطيقون إلا ما كلفهم الله تعالى .

ثالثا :أفعال العباد الاختيارية والإجبارية : الجبرية والقدرية :

---

(٥٧) سورة الشمس، الآية (٦ - ١٠).

(٥٨)عبد العزيز، أمير ، دراسات في الثقافة ، ص١٥١-١٦٤.

(٥٩) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

(٦٠) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٦١) سورة المجادلة، الآية ٤.

(٦٢) سورة هود، الآية ٢٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أفعال العباد الاختيارية هي خلق لله وكسب من العباد فزعمت الجبرية و رئيسهم الجهم بن صفوان الترمذي السمرقندي أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى وهي اضطرارية وقابلتهم المعتزلة وقالوا أن جميع الأفعال الاختيارية لا تعلق لها بخلق الله تعالى ، وقال أهل الحق أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة وهي مخلوقة لله تعالى لا خالق لها سواه ، فالجبرية غلوا في اثبات القدر فنفوا صنع العبد أصلا ، والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى ، والله خالق كل شيء وانه على كل شيء قدير وأفعال العباد من جملة المخلوقات ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقدرة الله تعالى عامه ومشيئته شامله لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال والعباد فاعلون لأفعالهم مما يستوجب عليه المدح أو الذم(٦٣).

والمصطلح الذي غلب استعماله للدلالة على الحرية في الفكر الإسلامي كان هو مصطلح الاختيار لا مصطلح الحرية وهو ما يعني حرية الفرد في الفعل أو الترك في الفكر الغربي (والذي استعملته المعتزلة في مقابل مصطلح الجبر) والذي يدل على انتفاء الحرية الخاصة بالإنسان. فالله سبحانه و تعالى لم يكره الإنسان على فعل شيء أو تركه بل منحه العقل و التمييز والإدراك. فجعله بهم مكلفاً مختاراً بالتكاليف الشرعية فلا يأتي العبد شيئاً و لا يزره إلا بعلم الله و قدرته .

و قدر الله الأشياء بمقدار مخصوص و نظام محدد و ربط الكون ربطاً دقيقاً محكماً و مسؤولية الإنسان له عليها الحساب و الجزاء في اليوم الآخر بعد البعث والنشور.

رابعا: تكليف الله الإنسان ما في وسعه وما يطيقه:

لا يكلف الله تعالى الناس إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم ولا حركة لأحد عن معصية الله تعالى إلا بمعونة الله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله ولا يجري شيئا إلا بمشيئته وعلمه وقضائه قال تعالى M§ ¨ ©نَفْسًا » ¬ L(٦٤) ولزم دعاء المؤمن بقولة في قولة تعالى M رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ L(٦٥)

لأن تحميل ما لايطاق ليس تكليفاً ، أي لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه وإن كنا مطيقين له ولكنه ثقيل علينا .

وما لايطاق للعجز عنه لا يجوز تكليفه، بخلاف ما لا يطاق للاشتغال بضده فانه يجوز تكليفه و هذا قول السلف و الأئمة و لكن كونهم جعلوا ما يتركه العبد لا يطاق لكونه تاركا له مشتغلا بضده _ بدعة في الشرع واللغة فإن مضمونه إنه فعل للعبد لما لا يطيقه .

وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره ويراد بقضائه الكوني لا الشرعي وذلك مثل قوله تعالى (فقضاهن سبع سموات في يومين)(٦٦) والقضاء الديني الشرعي M f g h i j k l m n ¢ L(٦٧) أما الأمر الكوني فقولة تعالى M ¼ ½ ¾ أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ L(٦٨)

الخاتمة:

مما سبق توصلت الورقة الى النتائج التالية:

النتائج:

(٦٣) ابن أبي العز ، صدر الدين (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) شرح العقيدة الطحاوية ، ط٩، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٤٣٢ - ٤٣٧.

(٦٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦.

(٦٥) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٦٦) سورة السجدة، الآية ١٢.

(٦٧) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٦٨) سورة يس، الآية ٨٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١. يتضح مما سبق أن النصيحة من أعظم مسؤوليات المسلم، لما لها من دور في إصلاح الأمم، وليست هنالك نصيحه حقيقية الا بحكمة، و الحكمة هي إصابة الحق بالعلم و العقل، وهي معرفة الاشياء و إيجادها على غاية الإحكام، والنصيحة بحكمة في حق العباد هي الصواب في القول، والعمل بقدر الطاقة البشرية، وهي القول المناسب في الوقت و بالقدر المناسب والاسلوب المناسب مع مراعاة مطابقة القول للعمل قدر الاستطاعة.

٢. الحكمة من النصيحة بمنزلة الرأس من الجسد فإذا لم يكن الناصح حكيما فإن النصيحة لا تؤتي ثمارها المنشودة .

٣. لا بد أن يكون النصح عن طريق الكلمة الطيبة التي ينفذ اثرها للقلب فيكون أدعى للقبول والاستجابة لها. أما الموعظة الحسنة 7 8 M v w x y z { | ~ بِٱلَّتِى هِىَ ¢ ¤ ¥ ¦ § ¨ © عَن « ® ¯ ° ± L [٦٩] والتي هي بمعنى النصح و التذكير بالعواقب، وهي زجر مقترن بالتخويف ، أو هي تذكير بالخير فيرق له القلب ، و فيها يشارك قلب المدعو فكر الاقناع و الرضا و القبول للدعوة قال تعالى M 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > L [٧٠].

٤. من أهم مظاهر النصح إخلاص التوحيد لله تعالى وطاعته و محبته و موالاة من يواليه و معاداة من يعاديه، و كذلك الاعتراف بنعمه وشكره عليها.

٥. تظهر أهمية النصيحة في وقت يعمل أعداء الإسلام على سد الطريق أمام وصول مفهوم الاسلام الى البشرية ويحاولون تزييف مفاهيمه الأصلية الجامعة بوصفه منهج حياة و إعاقة الخطوات التي تمكن المسلمين من امتلاك إرادتهم ، هذا ما يقوم به هؤلاء المجندون لحساب أعداء الاسلام ، يحملون اسماء مسلمه و قلوبا خاوية من الاسلام في محاولة لحجب المسلم عن التعرف على قضايا مجتمعه والتحديات التي تحيط به ليجعلوا منهم أبناءً وشباباً منغمسون في تفاهات و سموم التيارات والمفاهيم الفاسدة ويرجع تأخر المسلمين اليوم لبعدهم عن تعاليم الإسلام و عدم الأخذ بها، يفهمون الإسلام على انه عبادة فقط و لا يفقهون أنه لا بد أن يكون كُلاً متكاملاً عقيدة وشريعة وعبادة و معاملة و اخلاقاً و لا بد أن يلازم القول التطبيق و العمل.

و يتضح كذلك أن المسلم لا بد أن ينطلق في حياته ويمارس حرياته و فقاً لالتزامه العقدي لتجسيد المنهج الرباني وفق مقتضيات الواقع و التزام سلوك يحقق ارادة الله في خلقه ، منضبطاً بحدود الشرع و سلطة الاخلاق و المجتمع و تهذيب للنفس و تسامى بها للخير العام لتحقيق مسؤوليته في إدارة الكون و تعميره .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. الماوردي، أبو الحسن(١٩٨٣م) نصيحة الملوك، تحقيق خضر محمد خضر ، مكتبة الفلاح ، الكويت.

٢. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٢٠٠٣م) لسان العرب،ج١٤، دار صادر، بيروت.

٣. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (١٩٨٢م) ،ج٦، ط٣، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

٤. الحنبلي، ابن رجب (د.ت) جامع العلوم والحكم ، ط١، المكتبة التوفيقية.

٥. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد(١٤١٨هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٣، تحقيق: محمد صبحي ومحمد الأطرش دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٦٩) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٧٠) سورة ق ، الآية ٣٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٦. مسلم (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) صحيح مسلم بشرح النووي ج٢، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
٧. المناوي، محمد عبد الرؤوف (١٩٣٨م) صحيح البخاري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج١، ط١، مطبعة مصطفى محمد ، مصر.
٨. الرازي، فخر الدين (١٩٨٥م) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب،ج١٤، ط٣، دار الفكر ، بيروت.
٩. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد(١٩٨٥م) القاموس المحيط، ج٢، دار الجيل، بيروت.
١٠. الحنبلي، ابن رجب(١٤٠٥هـ-١٩٨٩م) الفرق بين النصيحة والتعيير ، ط٣، دار المأمون للتراث، سوريا.
١١. الأزهري، محمد بن أزهر(١٣٧٦هـ-١٩٧٦م) معجم تهذيب اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة.
١٢. مالك كاستر، نشأة الحرية في التربية(١٩٩٣م) ترجمة: أمين مرسي قنديل، مراجعة: محمد بدران، مكتبة دار النهضة المصرية، مصر.
١٣. عمر، أحمد مختار (١٩٨٨م) المعجم الأساس العربي، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم.
١٤. على، محمد أحمد (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية ط١، مجلة البيان، الكويت.
١٥. الماردينى، محمد حسين (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م) الحرية والدين، ط١، المكتبة الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.
١٦. قطب، سيد (١٩٨٨م) مقومات التصور الإسلامي، ط٣، دار الشرق، قطر.
١٧. أبو حبيب، سعدي (١٩٨٥م) دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٨. جمال، أحمد حمد(د.ت) على مائدة القرآن ، ط٣ ، دار الشروق، القاهرة.
١٩. قطب، محمد (١٩٩٨م) كيف ندعو الناس، المكتبة الإلكترونية.
٢٠. الشيباني، عمر محمد (١٩٧٥م) فلسفة التربية الإسلامية ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، ليبيا.
٢١. الفاسي، غلال(١٩٩٣م) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ط٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٢٢. القرضاوي، يوسف (١٩٧٧م) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة.
٢٣. ابن أبي العز ، صدر الدين (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) شرح العقيدة الطحاوية ، ط٩، المكتب الإسلامي، بيروت.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com